

## التحرير والتنوير

ومن آثار العمل بهذه الآية في السنة ما في صحيح البخاري : أن فاطمة " Bها " بلغها أن سببا جيء به إلى النبي A فأنت تشتكي إليه ما تلقى من الرحي تسأله خادما من السبي فلم تجده . فأخبرت عائشة بذلك رسول الله ﷺ فجاءها النبي A وقد أخذت وعلي مضجعهما فجلس في جانب الفراش وقال لها ولعلي : ألا أخبركما بخير لكما مما سألتما تسبحان وتحمدان وتكبران دبر كل صلا ثلاثا وثلاثين فذلك خير لكما من خادم .

وأمر الله ﷻ رسوله بما هو أعظم مما يأمر به أهله وهو أن يصطبر على الصلاة . والاصطبار : الانحباس مطاوع صبره إذا حبسه وهو مستعمل مجازا في إكثاره من الصلاة في النوافل . قال تعالى ( يا أيها المزمحل قم الليل إلا قليلا ) الآيات وقال ( ومن الليل فتهجد به نافلة لك ) .

وجملة ( لا نسألك رزقا ) معترضة بين التي قبلها وبين جملة ( نحن نرزقك ) جعلت تمهيدا لها ته الأخيرة .

والسؤال : الطلب التكليفي أي ما كلفناك إلا بالعبادة لأن العبادة شكر الله ﷻ على ما تفضل به على الخلق ولا يطلب الله ﷻ منهم جزاء آخر . وهذا إبطال لما تعوده الناس من دفع الجبايات والخراج للملوك وقادة القبائل والجيوش . وفي هذا المعنى قوله تعالى ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون أن الله ﷻ هو الرزاق ذو القوة المتين ) فجملة ( نحن نرزقك ) مبينة لجملة ( ورزق ربك خير وأبقى ) . والمعنى : أن رزق ربك خير وهو مسوق إليك .

والمقصود من هذا الخطاب ابتداء هو النبي A ويشمل أهله والمؤمنين لأن المعلل به هذه الجملة مشترك في حكمة جميع المسلمين .

وجملة ( والعاقبة للتقوى ) عطف على جملة ( لا نسألك رزقا ) المعلل بها أمره بالاصطبار للصلاة أي إنا سألناك التقوى والعاقبة .

وحقيقة العاقبة : أنها كل ما يعقب أمرا ويقع في آخره من خير وسر إلا أنها غلب استعمالها في أمور الخير . فالمعنى : أن التقوى تجيء في نهايتها عواقب خير .

واللام للملك تحقيقا لإرادة الخير من العاقبة لأن شأن لام الملك أن تدل على نوال الأمر المرغوب وإنما يطرد ذلك في عاقبة خير الآخرة . وقد تكون العاقبة في خير الدنيا أيضا للتقوى .

وهذه الجملة تذييل لما فيها من معنى العموم . أي لا تكون العاقبة إلا للتقوى . فهذه

الجملة أرسلت مجرى المثل .

( وقالوا لو لا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى [ 133 ] ) E A رجوع إلى التنويه بشأن القرآن وبأنه أعظم المعجزات . وهو الغرض الذي انتقل منه إلى أغراض مناسبة من قوله ( وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ) .

والمناسبة في الانتقال هو ما تضمنه قوله ( فاصبر على ما يقولون ) فجاء هنا بشنع من أقوالهم التي أمر الله رسوله بأن يصبر عليها في قوله ( فاصبر على ما يقولون ) . فمن أقوالهم التي يقصدون منها التعنت والمكابرة أن قالوا : لولا يأتينا بآية من عند ربه فتؤمن برسالته كما قال تعالى ( فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ) . و ( لولا ) حرف تحضيض .

وجملة ( أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ) في موضع الحال والواو للحال أي قالوا ذلك في حال أنهم أتتهم بينة ما في الصحف الأولى . فالاستفهام إنكاري ؛ أنكر به نفي إتيان آية لهم الذي اقتضاه تحضيضهم على الإتيان بآية . والبينة : الحجة .

والصحف الأولى : كتب الأنبياء السابقين . كقوله تعالى ( إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ) .

والصحف : جمع صحيفة . وهي قطعة من ورق أو كاغد أو خرقة يكتب فيها . ولما كان الكتاب مجموع صحف أطلق الصحف على الكتب .

ووجه اختيار الصحف هنا على الكتب أن في كل صحيفة من الكتب علما وأن جميعه حواه القرآن فكان كل جزء من القرآن آية ودليلا